مقدمة

تعرضت تجربة جيش الانقاذ لتقييمات ونظرات متباينة تراوحت بين المغالاة في الاطراء والمديح من ناحية ، وبين النقد والنقد الظالم بل حتى التجني احيانا من ناحية ثانية .

تواجه دراسة هذه التجربة صعوبات وتعقيدات عديدة في مقدمتهـا ان الامانة العامـة لجامعة الدول العربية ، وهي التي اشرفت على تأسيس هذا الجيش وتمويله وتسليحه، احتفظت بوثائق الانقاذ وقيوده وسجلاته وكافة اوراقه الرسمية وأودعتها في خزائنهـا ومستودعاتها ، واعتذرت عن نشر هذه المواد الهامة كما لم تسمح لاحد بالاطلاع عليها رغم ما تعرضت له الجامعة العربية من نقد واتهام حول مسؤولياتها القومية أبان تلك النكبة . ونتيجة لحجب هذه الوثائق تعددت التفسيرات وطرحت الاراء المتباينة وضاعت الحقيقة ، أو معظمها ، حين تكاثر متهمو جامعة الدول العربية في حين ان مسؤوليتها في احداث تلك الفترة نسبية لا تقاس بمسؤولية تلك الحكومات والانظمة العربية التي كانت الامانة العامة صلة الوصل والتنسيق بينها .

وصعوبة ثانية تواجه أية محاولة دراسية موضوعية ان تجربة الانقاذ كانت في الواقـع أول مشروع « رسمي » عربي استهدف المشاركة في تحرير فلسطين ، وقد انتهى هـذا المشروع ، باعتباره جزءا من المواجهة العربية العامة ، لا بهزيمة عسكرية فحسب بـل بكارثة قومية وانسانية لا مثيل لها في التاريخ المعاصر .

لقد كان طموح العرب آنذاك عظيما يمكن ان تلخصه كلمات فوزي القاوقجي ـــ قـائد الانقاذ ـــ يوم وصل الى جبع ـــ في منطقة المثلث ـــ مخاطبا عرب فلسطين حيث قـال : « أتيناكم بقلب واحد ولهدف واحد هو : الغاء قرار هيئة الامم المتحدة في التقسيم ودك معالم الصهيونية وتصفيتهـا نهائيا وتنفيذ قرارات الجـامعة العربية وتثبيت عروبـة فلسطين »(٢). ولكن تطور الاحداث ونتائجها خلال الشهور القليلة التالية جاء اقسى من أسوأ التوقعات والاحتمالات . اذ لم تكن المنجزات دون مستوى المطامح فحسب ، ولم تكن الهزيمة عسكرية للقوات الشعبية والنظامية فقط بل ان شهور تلك السنة شهدت نقيض بيانات القادة والزعماء ، اذ شرد شعب فلسطين من وطنه وقامت دولة اسرائيل ونجحت هذه الدولة في اغتصاب مساحات زادت كثيرا على ما «خصصته» لها هيئة الامم المتحدة من وطننا . فكانت الهزيمة لانظمتنا الاجتماعية القائمة يومذاك وليس لقواتنـا الشعبية والرسمية فقط .

وازاء هذا الانهيار الاليم والسقوط المذل كان طبيعيا ان يحاول كل مسؤول عن احداث تلك السنة ، سياسيا كان ام عسكريا ، أن يفسر الوقائع بما تنطبق عليه خلاصة تجربة نابليون المريرة حين قال : « الهزيمة يتيمة بينما للنصر الف أب » ، وخاصة حين يعـود اولئك المسؤولون الى تذكر ما قالوه للجماهير العربية في بداية عام ١٩٤٨ ليواجهوا واقع الحال في نهاية تلك السنة ذاتها وما انتهى اليه الوضع العربي بشكـل عام . ومن هنا كانت الصعوبة بالغة جدا في ان نجد الحقائق والوقائع الموضوعية في أجواء تلك الهزيمة حين نعود لدراسة ما تركه القادة عن تلك الفترة من مذكرات وبيانات لانها ، في جوهرها، تمثل دفاعا عن مواقف اصحابها وتبريرا لما قاموا به من اعمال وتصرفات ، ايجابية كانت أم سلبية ، ولذلك بقيت صورة الانقـاذ ، من خـلال ما نشر ، ذاتية ومجزأة وليست موضوعية وشاملة .

والصعوبة الثالثة هي ان جيش الانقاذ ، خلافا للجيوش النظامية العربية ، لم يكن يعمل وحده في الميدان ، كذلك لم يكن له قطاع خاص محـدد تولى مسؤوليته وحده معظـم الوقت ، بل كانت تقف معه قوات شعبية فلسطينية (الجهاد المقدس والوحدات المحلية المستقلة) قبل ١٥ ايار ١٩٤٨ خاصة ، بالاضافة الى قوات نظامية عربية (الجيوش